لما دخل عليه بعض رسل المسلمين امر بهدم ما حوله من البناء فسقط وذلك بقسطنطينية كرسي
مملكتهم ومجتمع علمائهم وعقلائهم وهذا حالهم **ومن** ذلك النور الذي ينزل بالقمامة في البيت المقدس
على قنديل معلق هناك فيشرق من غير اتصال نار به في راي العين فيتوهم العامة ان الانوار نزل على
ذلك الموضع قبل الله تعالى لانه موضع قبر المسيح عليه السلام عندهم الذي دفن فيه وصعد منه وحقيقة ما عهد
بالحق واصله ان النفط اذا دبر على كيفية مخصوصة ومسح به شريط فهو في غاية الرقة من الحديد
وعمل في اخره فتيلة فان النار اذا مسها اولا ذلك الشريط فانها تجري مع ذلك الشريط بسبب النفط
الملطوخ له الى ان ينتهي الى اخره فيشتعل في ذلك الجسم الذي للفتيلة من القطن او غيره **و**لذلك الوجه
النفطيون على انهم يقعدون في صدر بيت ويشعلون سراجا في طاق من الجهة الاخرى من غير مباشرة
فاذا اراد احدهم مد شريطا مع طول الحائط بدائر البيت متصله بذلك السراج ويمسه بالنار
فتسري النار الى السراج ولا يشعر الناس الجالسون منه اين انقد السراج **و**كذلك النصارى اتخذوا
شريطا رقيقا لهذا القنديل يشعلونه من اعلى القبة التي في المكان ويشتعل القنديل من غير نار مباشرة
وقد اطلع على ذلك جماعة منهم الملك المعظم اخو الملك الكامل واراد المنع منه فقالوا لو حصل لك هذا لعلم
المال الذي ابطلته بطلت فتركهم على حالهم **و**كذلك الامراء المتولون لتلك الجهة يطلعون على ذلك
ويجهدون به **و**هذه الكيفية مسطرة في كتب النفط والرماية رايتها انا مع مغربات صناعات
هذا الشأن **ومن** ذلك ان لهم كنيسة كانوا يزعمون ان يد الله تعالى تظهر من الهيكل لها يوم معلوم من السنة
تصافحها الناس فدخل عليها بعض ملوكهم فصافح اليد ومسكها مسكا شديدا وقال والله لا اتركها
هذه اليد حتى ارى وجه صاحبها فقالت له الاساقفة اما تخشى الرب اخرجت من دين النصرانية فأبى
ان يتركها بكثرة تهويلهم حتى يرى صاحب اليد فلما اعياهم امره اخبروه انها يد راهب منهم فقتله
ومنعهم من العود الى ذلك فلم يعودوا **وبالجملة** الاسهاب في هذا الباب يضيع فيه الزمان لكثرته
وانما اردت التنبيه على انهم يمشون ما هم عليه من الضلال بنوع من الشعبذة واصناف من الحيل
لما عدموا من الحق الذي يصدع العقول وانا انبهك على ان القوم ليس لهم حظ من النظر القويم ولا العقل
المستقيم بل وجدوا اباءهم على الضلال فهم على اثارهم يهرعون قد غمرهم الجهل وعمهم العمى فلذلك لم
تنهض العزيمة الى بسط القول في الحديث معهم فان محاطة البهائم من السخف بل اقتصرت على بيان
غلط القائل لهذه الرسالة ومعارضتها بالامثلة والنصوص من كتبهم لقول الله تعالى يجعل في كتبها
لبعض الغافلين فليستيقظ لرؤية هذه المساوي القبيحة واما سلوك طريق الانظار العقلية
وبناء المدارك القطعية فليس القوم اهلا لذلك وقد اجتمع بي بعض اعيانهم المبرزين في حلبة سباقهم
ليتحدث في امر دين النصرانية فقلت بحضرة جماعة من العدول انا لا اكلفك النظر الى اقامة
دليل على صحة دينهم بل اطالبهم كلهم بان يصوروا دينهم تصويرا يقبله العقل فاذا صوروه انتقلت
منهم بعد ذلك من غير مطالبتهم بدليل على صحة فحاول هو في نفسه تصوير دينهم فعجز عن ذلك فلما عجز
قال ما كلفنا بالتصوير بل كلفنا السيد المسيح بالاعتقاد ولا نلتزم ما لا يلزمنا وما اليوم دينا

فنحن

فنحن الى ما قدمته لكم من السكون الى التقليد وعدم النظر فيما يصح ويفسد فقلت له الاعتقاد لابد فيه
ان تثبت شيئا تثبته او تنفيه عنه فهو مركب من تصور بين التصور المحكوم عليه وتصور المحكوم به وانتم على ما
قلت به مكلفون بالاعتقاد ومن كلف بمركب كلف بمفرداته فمن كلف بالاعتقاد كلف بالتصور فانتم
مكلفون بالتصوير فصور لي دينك فانقطع ورايت انه قد اصيب من مأمنه ولزمه السؤال من
قوله فقال امهلني ثلاثة ايام حتى اجتمع بابن العسال وهو كان مشهورا عندهم بالفضيلة على زعمهم
فلم اره بعد ذلك فانظر الى قوم عاجزين عن تصوير دينهم فضلا عن اقامة الدليل عليه فكيف يليق
بالعاقل ان يوسع الحديث معهم فلذلك سلكت مسلك الاقتصار في بيان هذه الكلمات **فمنها**
قال محمد صلى الله عليه وسلم لم يبعث الينا فلا يجب علينا اتباعه انما قلنا انه لم يبعث الينا لقوله تعالى
في الكتاب العزيز انا انزلناه قرانا عربيا ولقوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه و
لقوله تعالى بعث في الاميين رسولا منهم ولقوله تعالى لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك ولقوله
تعالى ولتنذر ام القرى ومن حولها ولقوله تعالى لتنذر قوما ما انذر اباؤهم ولقوله تعالى وانذر
عشيرتك الاقربين فلم يلزمنا الا ما جاءنا بلساننا واتانا بالتورية والانجيل بلغاتنا **والجواب**
من وجوه **احدها** ان الحكمة في ان الله تعالى انما يبعث رسله بالسنة اقوامهم ليكون ذلك ابلغ في الفهم
عنه وهو ايضا يكون اقرب لفهمهم عنهم جميع مقاصدهم في الموافقة والمخالفة وازاحة الاعذار
والعلل والاجوبة عن الشبهات العارضة وايضاح البراهين القاطعة فان مقصود الرسالة
في اول وهلة انما هو البيان والارشاد وهو مع اتحاد اللغة اقرب وانما امر جماعة من الرسل
عليهم الصلوة والسلام بالقتال بعد الياس من النفع بالبيان فاذا تقررت نبوة النبي في قومه قامت
الحجة على غيرهم فان اقارب الانسان ومخالطيه المطلعين على حاله والعارفين بوجوه الطعن
عليه اكثر من غيرهم اذا استسلموا واتفقوا فغيرهم اولى ان يسلم ويوافق **فهذا** هو الحكمة في ارسال
الرسول بلسان قومه ومن قومه لا ان المقصود ان لا تتعدى رسالته لغير قومه وفرق بين قوله
تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وبين قوله وما ارسلنا من رسول الا الى قومه فالقول الثاني
هو المفيد لاختصاص الرسالة بهم لا الاول بل لا فرق بين قوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
وبين قوله وما ارسلنا من رسول الا ملتفتا هداية قومه فكما ان الثاني لا اشعار له بانه لم يكلف
بهداية غيرهم فكذلك الاول فمن لم يكن له معرفة بدلائل الالفاظ ومواقع المخاطبات سوى بين
المختلفات وفرق بين المؤتلفات **وثانيها** ان التورية نزلت باللسان العبراني والانجيل
بالرومي فلو صح ما قاله لكانت النصارى كلهم محظوظين في اتباع التورية فان جمهورهم لا يعلمون
هذا اللسان الا كما نعلم نحن الروم الان بطريق التعليم وان بقي القبط كلهم والحبشة كلهم
محظوظون في اتباع التورية والانجيل الان الفريقين غير العبراني والرومي ولو لم ينقل هذان الكتابان
بلسان القبط وترجما كما ترجما بالعربية لم يعلم قبطي ولا حبشي ولا رومي شيئا من التورية ولا فهم
ولا حبشي شيئا من الانجيل الا ان يتعلموا ذلك باللسان كما يتعلموا العربي **وثالثها** انه اذا اسلم

Copyright ... University